# لماذا اختارنى الهلالى وزيرا للحربية؟

- فاروق يعين ضابطا بالبوليس قائدا للجيش. وقائد الطيران لم يدرس الطيران فى حياته !
- لغز إبعاد محمد نجيب من رئاسة سلاح الحدود !
- لماذا طلب نجيب الهلالى منى أن أكون وزيرا للداخلية والحربية معا ؟

لم تدم رئاسة على ماهر للوزارة بعد حريق القاهرة فى ٢٦ يناير ٥٢ غير ثلاثين يوما من ٢٨ يناير إلى أول مارس لكنها كانت حافلة بالكثير من الأزمات بينه وبينى. ولا أكتم القارئ سرا أن على ماهر لم يحمل ودا للمرحوم والدى الشيخ مصطفى المراغى شيخ الجامع الأزهر.. كانت بينهما جروح قديمة زاد منها أننى لم أنطو تحت ذراعيه كما كان يميل إلى احتواء الذين يعملون معه.

وفى خلال فترة عملى معه قدمت استقالتى ثلاث مرات كان آخرها تلك التى أعقبت أزمة كبيرة بسبب محاولة واضحة منه لتحريض الإخوان المسلمين ضدى.

كنت جالسا فى مكتبى حين دق جرس التليفون وإذا بصوت يصيح بغير تحية أو سلام: ازاى يا مرتضى تقبض على الإخوان المسلمين الأبرياء بغير ذنب؟ مش بلاش بقى الإجراءات التعسفية اللى أنت بتستخدمها معاهم؟!

عرفت صوت المتكلم وقلت: تقدر تذكر لى يارفعة الباشا أسماء الذين قبضت عليهم؟

قال على ماهر: أنت تعرفهم أكثر منى. إنك تقبض عليهم بغير علمى.

وقطع الحديث التليفونى وتركنى أقبض على السماعة حائرا. أيقنت أن فى مكتبه جماعة من الإخوان المسلمين وأنه يريد أن يوغر صدر الإخوان على، وأن يظهرنى بمظهر المتعسف معهم.

واستدعيت مدير الأمن العام وطلبت منه إحضار كشوف المقبوض عليهم. وراجعتها ولم أجد فيها إلا عشرة من جماعة الإخوان قبض عليهم على أثر حريق القاهرة بأمر من السلطة العرفية. وقد صدَّق على ماهر بصفته الحاكم العسكرى العام على قرار القبض ووقع عليه. وتوجهت إلى مكتب على ماهر ودخلت عليه. ولم يخب ظنى. فقد كان فى مكتبه عدد من كبار جماعة الإخوان وفوجئ بدخولى عليه ولكنه ابتسم وقال: قد جئت لتحل المشكلة.

قلت: المشكلة تحلها أنت وليس أنا. إنك أنت الذى صدَّقت على أمر القبض. وهذا هو توقيعك. وتفضل بالإفراج عنهم.

قال على ماهر: إنك أنت الذى أشار بالقبض عليهم.

قلت: لست أنا الذى أشار بالقبض. إنما النيابة هى التى اتهمتهم وأنت الذى صدَّقت على قرار القبض. ومن حقك ألا تصدِّق، ومن حقك أن تفرج عنهم.

قال بسرعة: قدم لى مذكرة بحالتهم.

قلت: لن أقدم لك مذكرة. وهذا هو الكشف أمامك للتصرف فيه ولكنى أقول: إنك تريد أن تحرض علىَّ جماعة الإخوان. هذا هو هدفك الوحيد.

قال على ماهر: لا أقبل أن تقول لى: إنى أحرض عليك الإخوان.

قلت: إنك اتهمتنى أمامهم بأنى أقبض على الأبرياء، أنى أتعسف فإن لم يكن هذا تحريضا، أليس على الأقل هو تعريض. وهل يليق بك أن تكلم وزيرا فى وزارتك أمامهم بهذه اللهجة؟

وخرجت إلى مكتبى وكتبت استقالة، وأرسلت نسخة منها إليه ونسخة أخرى إلى ديوان الملك، وجمعت أوراقى وذهبت إلى بيتى.

مر يومان لم أسمع فيهما شيئا. وفى العاشرة صباحا اتصل بى على ماهر وقال: إنه يرجو حضورى إلى جلسة يعقدها مجلس الوزراء.

قلت له: ألم يصلك خطاب استقالتى؟

قال: ولهذا أرجو حضورك.

توجهت إلى رئاسة مجلس الوزراء ودخلت مكتب على ماهر.

وكان كل الوزراء مجتمعين عنده. حييتهم وجلست.

قال على ماهر: إن أخانا مرتضى قدم إلىَّ استقالته، ورأيت أن أجمعكم لعرضها عليكم. إنى أريد منك (وتوجه إلىَّ بالخطاب) أن تسحب الاستقالة لأنه يسعدنى أن تكون زميلا لنا، وأنى أريد إنهاء الخلاف المؤسف بينى وبينك.

قال وزير التجارة: ونحن جميعا يسعدنا أن تظل بيننا.

قال وزير الخارجية: وأضم صوتى إلى صوت زميلى.

قلت: وأنا يسعدنى أن أكون معكم. ولكن بغير الطريقة التى يتبعها رئيس الوزراء. إما أن نكون وزراء وإما ألا نكون.

قال على ماهر: إنى أحافظ على كرامتكم بقدر ما أحافظ على كرامتى.

قلت: وهل من المحافظة على الكرامة أن تفعل مثل ما فعلت بحضور جماعة الإخوان.

قال على ماهر: إنى آسف.

وانتهى المجلس وسحبت استقالتى لاصطدم بمفاجأة عجيبة.

## يطلب من الملك إقالتى

عـدت إلى مكتبى فى وزارة الداخلية. دخل سـكرتيرى الخاص يقـول: إن حافظ عفيفى رئيس الديوان الملكى سـأل عنى تليفونيا. ويرجو أن اتصل به فور وصولى إلى المكتب. اتصلت بحافظ عفيفى. فرجانى أن أتوجه إلى مكتبه مباشرة. توجهت إليه، فقال: أين كنت؟

قلت عند على ماهر.

رأيت الدهشة على وجهه وقال: هل طلب منك أن تذهب إليه أو ذهبت أنت إليه؟

ثم شرحت له ما حدث فى المجلس.

قـال حافـظ عفيفى: هذا الشـىء عجيب لا أكاد أصدقه. هل تعلـم أن على ماهر حضر إلى مكتبى الساعة الثامنة صباح اليوم، وقال: أنا لا أستطيع التعاون مع مرتضى المراغى، وأرجو رفع الأمر إلى الملك لكى أصدر مرسوما بإقالته. ظللت صامتا ثم قلت: وماذا فعلت؟

قال حافظ عفيفى: أبلغته أننى سأعرض الأمر على الملك. وفى الساعة التاسعة قابلت الملك فأخبرنى أن أبلغ على ماهر أن يقدم استقالة الحكومة ثم يعيد تشكيلها من دونك.

قلت: إذن لماذا دعانى وطلب منى سحب الاستقالة؟

قال حافظ عفيفى (ضاحكا): إنه خشـى أن يقدم اسـتقالة الحكومة، فيعهد الملك إلى غيره بتشكيلها. إنه كان يريد إقالتك لا استقالة الحكومة.

ولكن ما هى إلا أيام حتى انتهى الأمر بأن قدم على ماهر اسـتقالة حكومته، فقبلها الملك وعهد إلى نجيب الهلالى بتأليف الوزارة.

اسـتدعانى نجيـب الهـلالى وطلـب منـى أن اشـترك فـى الـوزارة وزيـرا للداخلية والحربية معا.

قلت له: يا نجيب باشـا هذا عبء كبير جداً، وزارة الداخلية وحدها تحتاج إلى وزيرين وأنـا أعلم بأن وزير الحربية إذا كان مدنيا فهو وزير صورى ووظيفته أن يوقع على القرارات التـى تصدرها قيـادة الجيش بالاتفاق مع القصر. وقائد الجيش الفريق حيدر يتصل مباشـرة بالقصر فى أى أمر يخص الجيش، ووزير الحربية لا يعلم شيئا عن اتصالاته.

قـال الهلالى: أعلـم ذلك. ولكنى عرضت علـى الملك أن يعين اللـواء محمد نجيب وزيرا للحربية فرفض الملك. ورأيت أن أعهد بها إليك مؤقتا لسبب..

وسكت الهلالى.

قلت: وما هو السبب؟

قال الهلالى: أنا أعلم أن فى الجيش حركة تذمر. ولا شك أن فى وزارة الداخلية تقارير عن هذه الحالة أكثر من تقارير المخابرات الحربية. وأشك أنها تعرض على وزير الحربية، إذا كان مدنيا. إنى أريد منك. أن تعرف أسباب التذمر وإلى أى مدى وصل.

قلت: إنى أعلم أن التذمر متفش فى صغار الضباط. أما كبارهم فيزايدون على الولاء للقصر بشكل سافر. ولكنى أشك فى الوصول إلى وضع حد لتذمر صغار الضباط مادامت القيادات فى يد كبارهم.

قال الهلالى: على كل حال حاول وأرجو لك التوفيق. أخذت أقسّم يومى بين وزارتى الحربية والداخلية. فأذهب فى الصباح إلى الحربية من الساعة التاسعة حتى الثانية بعد الظهر، وأتوجه إلى الداخلية من الساعة الخامسة مساء إلى ساعة متأخرة من الليل.. أرهقنى العمل المتواصل إرهاقا شديدا. ولكنى كنت مستريح النفس لأننى أعمل مع رئيس وزراء يختلف كثيرا عن على ماهر. فنظرته إلى الوزراء كانت نظرة زمالة صادقة. وكان يترك للوزير التصرف فى شئون وزارته بمطلق الحرية ولا يراجع أحدا فى شىء إلا ما يعرض على مجلس الوزراء.

## قيادات عسكرية لا تفهم الفن العسكرى

لم تكن مشكلتى الكبرى من ناحية الموظفين الذين يعملون معى فى وزارة الداخلية. بل كانت المشكلة هى وزارة الحربية. كبار موظفى وزارة الداخلية كانوا إما ضباطا وإما مدنيين أمضوا خدمتهم فى السلك العسكرى البوليسى أو المدنى الإدارى وتمرسوا العمل. أما وزارة الحربية فالقيادات الكبرى الثلاث كانت معهودة إلى رجال لا يعرفون شيئا عن الفن العسكرى وتكتيكه.

فقائد الجيش الفريق حيدر تخرج فى المدرسة الحربية عام ١٩١٦ فى الوقت الذى كان الطالب يمضى فى المدرسة سنة على الأكثر ويتخرج بعدها ضابطا ثم يلتحق بالجيش. ولكن حيدر بدل أن يلتحق بالجيش التحق بسوارى البوليس لأنه كان يجيد ركوب الخيل واشتهر بمطاردته للمتظاهرين بفرقة الخيالة التى يرأسها وحظى بتقدير السلطات البريطانية ودخل مصلحة السجون. وكان الملك فؤاد يحاول إصلاح حوالى خمسين ألف فدان من الأراضى البور تملكها الخاصة الملكية فاقترح عليه مدير الخاصة أن يستعمل المساجين لإصلاحها.

وتمكن الضابط حيدر – بسوطه الذى جال فى ظهور السجناء وأدماها – من تحويل القفر إلى سندس أخضر در على الملك فؤاد غلة كبيرة ومالا وفيرا. وأصبح حيدر محل تقدير القصر. فرقى ترقية استثنائية حتى وصل إلى منصب مدير السجون.

ولما خلف فاروق والده كان السجناء دائما فى حقول القصر وحدائقه يحفرون الترع والمصارف ويقيمون الجسور، وسياط حيدر على ظهورهم. فأعجب فاروق بحيدر وقربه وعينه ياورا شرفيا. حتى فوجئ الجيش، ضباطا وجنودا عام ١٩٤٦ بتعين حيدر رئيسا لهيئة أركان الحرب ثم قائدا عاما للجيش ووزيرا للحربية عام ١٩٤٨. وساق حيدر الجيش إلى الحرب وأسلحته ناقصة ووسائل مواصلاته هزيلة، وقد اعترض بعض السياسيين على هذه الحملة التى ارتجلت بغير استعداد، فقال حيدر: إنه واثق من النصر وإن الحملة العسكرية ستكون نزهة.

وكان رئيس أركان حرب الجيش يتميز بشاربه المفتول إلى أعلى والمدبب بالكوزماتيك. وحياته كلها أمضاها ضابطا فى الحرس الملكى.

وكان قائد سلاح الطيران ضابطا فى الجيش حتى وصل إلى رتبة لواء ولم يدرس الطيران فى حياته أبدا ثم نقل إلى منصب قائد سلاح الطيران ومنح لقب اللواء الطيار.

هذه هى المجموعة التى كان علىَّ أن أحاول العمل معها. ولكنى وجدت فيها سداً منيعا متكاتفاً يمنعنى من الإطلاع على شئون الجيش.

رأيت أن آخذ الأمر بالحيلة وأن أحدث ثغرة فى ذلك السد الثلاثى. ووجدت الأسباب القوية لاقتلاع أحد أركانها، وكان الفريق عثمان المهدى رئيس هيئة الأركان. فتقصير عثمان المهدى كان واضحا فى حادث حريق القاهرة لتأخره فى إنزال الجيش وتردده فى إطلاق النار، والملك على رغم انغماسه فى ذلك الحريق إلى حد كبير لا يستطيع أن يدافع عن تقصير عثمان المهدى وإلا أصبح الأمر مكشوفا. ولكنى قبل أن أطلب عزله أخذت أبحث عن ضابط قوى الشكيمة يستطيع أن يقف فى وجه حيدر وأن يكون محبوبا ومحترما من ضباط الجيش وأن أعتمد عليه فى إزالة أسباب تذمر صغار الضباط. وعثرت على لواء يسمى حسين فريد قيل: أن صفات كثيرة حسنة تتوفر فيه، فتقدمت بمذكرة إلى الملك أطلب فيها إحالة الفريق عثمان المهدى بتهمة التقصير وتعيين اللواء حسين فريد رئيسا لأركان حرب القوات المسلحة.

ولكن حيدر باشا أسرع بإرسال خطاب إلى الملك يقول فيه: إن خروج عثمان المهدى يؤدى إلى تقولات بأن الجيش قصرَّ فى واجبه نحو حريق القاهرة وأن الحكومة الحالية أعلنت أنها

جاءت لتطهير الفساد فى إدارة الحكم. وإن إخراج عثمان المهدى معناه أن الحكومة بدأت أول أعمال التطهير فى الجيش. ولكنى أصررت على إقالة عثمان المهدى وتعيين اللواء حسين فريد واستبشرت خيرا بأنى فعلت شيئا آمل أن تتبعه أشياء. ولكنى أملى مع الأسف خاب.

## حسين فريد يرفض التعاون معى

فى صباح اليوم التالى حضر إلى مكتبى اللواء حسين فريد وحيانى وشكرنى على تعيينى له.

قلت له: لقد سمعت عنك خيرا كثيراً. وأرجو أن أسمع أكثر. إننى عينتك لتكون صلة الوصل بين الجيش ووزير الحربية.

قال حسين فريد: والفريق حيدر؟

قلت: الفريق حيدر منذ سنة ١٩٤٩ بعد أن ترك وزارة الحربية قطع صلة الجيش بوزير الحربية. وأنت مكلف كما قلت لك أن تعيد هذه الصلة. ولذلك عينتك.

قال حسين فريد: هل معنى ذلك أن أعرض عليكم شئون الجيش من دون عرضها على الفريق حيدر.

قلت: إننى أعرف الأنظمة العسكرية على رغم أنى مدنى. إن واجبك أن تعرضها عليه. ولكننى عينتك بالذات لتعرضها علىَّ. وهذا أمر منى لا يسعك أن تخالفه.

قال حسين فريد: وإذا طلب حيد منى أن يتولى عرضها هو.

قلت: فى هذه الحالة قل له أنك أنت المكلف بالقيام بذلك.

قال حسين فريد: إننى لا أستطيع أن أقول له هذا. تولانى ذهول وقنوط شديدان. فهذا الضابط الذى أتيت به من بين براثن القصر. ولكى أعالج أمورا كثيرة وخطيرة فى وزارة الحربية وفى جيش يعانى التذمر والقلق والاضطراب من جراء وجود حيدر ومن على شاكلته من كبار الضباط الذين كانوا حاشية للملك أكثر مما كانوا قوادا للجيش، هذا الضابط أصبح فى نظرى لا فرق بينه وبين عثمان المهدى. فأشرت إليه بالانصراف وقلبى يعتصر من اليأس.

حضر إلى مكتبى ذات يوم اليوزباشى اسماعيل شرين وكان متزوجا الأميرة فوزية أخت الملك ومعينا ضابط اتصال بين وزارة الحربية وخبراء تدريب الجيش الألمان. وقال إن هؤلاء الخبراء يشْكُون من أن كبار ضباط الجيش لا يمكنون الخبراء من تدريب الجيش. فالخبير

يذهب فى الصباح لتدريب كتيبة قوامها مائة رجل فلا يجد إلا خمسة. وأحيانا لا يجد أحدا. طلبت الفريق حيدر. ولما حضر أطلعته على أقوال إسماعيل شرين.

قال: هذا كلام صحيح.

قلت: إنهم يعدون تقريرا بكل التفاصيل.

قال: إن هؤلاء الخبراء يجب أن يرحلوا.

قلت: لماذا؟

حيدر: لأنهم أغبياء جهلة لا يفهمون شيئا من التدريب.

قلت لنفسى: يا إلهى! حيدر ضابط السجون والذى أمضى سنة واحدة فى المدرسة الحربية يتهم جنرالات الجيش الألمانى بالجهل!

على كل حال أنا فى انتظار التقرير.

وخرج حيدر وبعد يومين فوجئت ببرقيتين مرسلتين إلى القصر: إحداهما باسم الملك فاروق والأخرى باسم حافظ عفيفى. والأولى بامضاء الجنرال باج فويلنر (Pag Fuellner) والثانية بامضاء سلوتزر (Sloetzer) وفرازولداتى (Frsoldati) يقولون فيها: إنهم يعاملون معاملة سيئة ويضربون ويعذبون ويشتمون من أحد الضباط الذى يهددهم بالقتل ويطلبون من الملك حماية حياتهم التى أصبحت فى خطر. وتشرح البرقية المرسلة إلى حافظ عفيفى السبب. فتقول إن الضابط يساومهم باسم الأميرلاى حسن رجب لتسليمهم إياه مستندات سرية فى حوزتهم وإلا فقدوا ممتلكاتهم ورصيدهم فى البنوك وحريتهم بل وحياتهم. وهذه المستندات التى كان يسعى وراءها حيدر ويستخدم وكيل الحربية حسن رجب للمساومة على الحصول عليها هى تقارير لبعثة الخبراء الألمان عن حالة الجيش ويأسهم من تدريبه.

وقد علمت بعد الثورة أن الجنرالات الألمان قدموا إلى الثورة بعد قيامها خدمات ونصائح قيمة.

## ابعاد اللواء نجيب بسبب المخدرات

كانت وظيفة لواء سلاح الحدود هى مطارة المهربين الذين يهربون المخدرات عبر تركيا فسوريا فلبنان إلى غزة فإلى قناة السويس. وكانت مهمة شاقة جداً لأن القوة لم تكن تكفى لتغطية آلاف الكيلومترات من الصحارى ولم تكن تتوفر الوسائل اللازمة كطائرات الهيلكوبتر أو الاستطلاع أو قوارب الطوربيد الكافية لضبط السفن الناقلة للمخدرات. وكان الجنود غالبا

يستخدمون الجمال أو سيارات الجيب. ولكنهم تحت قيادة اللواء محمد نجيب تمكنوا من ضبط كميات كبيرة جدا وضيق الخناق على المهربين وقبض على عدد كبير منهم ومن استطاع الفرار ألقى بحمولته ونجا والمفروض أن يلقى محمد نجيب تقديرا كبيرا على نشاطه ونزاهته، ولكنه لقى سخطا كبيرا.

كانت فى القصر حاشية قوية النفوذ عند الملك تريد أن تثرى ووجدت أن الثراء السريع المضمون هو تجارة المخدرات، ولكنها تجارة محفوفة بالمخاطر. لأن عقوبة تاجر المخدرات تصل إلى الأشغال الشاقة المؤبدة. لكن هذه الحاشية تريد الثراء، وهى ذات نفوذ عند الملك تستطيع به أن تستصدر ما تريد من قرارات. ولذلك وضعت هذه الحاشية هدفا لها وهو إبعاد اللواء محمد نجيب عن منصب قائد سلاح الحدود والمجئ برجل آخر يمكن قوافل التهريب التى هى تحت امرتها من المرور خلال دروب فى الصحراء وبين الجبال لا تكون فيها نقط مراقبة ولا دوريات من الجنود. وكان محمد نجيب بحكم خبرته الطويلة يعلم هو ومن عينهم معه من الضباط هذه المسالك والدروب. ويترصد المهربين فيها. وإذا حاولوا تجنبها ووجدوا دربا آخر كان جنود محمد نجيب لهم بالمرصاد.

وكسدت تجارة المخدرات فى مصر وضاق رجال الحاشية بمحمد نجيب فأخذوا يشون به لدى الملك بانه غير مخلص وأنه يتصل بالضباط الأحرار وأنه يسب الأسرة المالكة. حتى أوغروا صدر الملك عليه فأمر بنقله من قائد لواء الحدود إلى قائد لواء المشاة وهو منصب يعد من الناحية العسكرية أقل من المنصب الأول. ووجدوا بغيتهم فى اللواء حسين سرى عامر الذى كان وكيلا لسلاح الحدود وعلى صلة برجال الحاشية. ووصل إلى رتبة الوكيل بمساعدتهم لأنه وهو ضابط استطاع أن يبعد الدوريات التى تحت قيادته من بعض الدروب حتى تمر قوافل مهربى الحشيش التى تعمل لحساب رجال الحاشية. ولما نقل محمد نجيب إلى سلاح المشاة عين الملك حسين سرى عامر قائدا لسلاح الحدود. وكان لتعيينه أثر سيئ عند صغار ضباط الجيش حتى إن بعضهم أطلق النار عليه.

ونجا حسين سرى عامر، وامتلأت جيوب حاشية القصر وخزائنهم بالملايين، ونعم الحشاشون فى مصر بما لم ينعموا به من قبل بسبب حسين سرى عامر!

□□□

١ – من اليمين عبد اللطيف باشا محمود ومن اليسار محمد حيدر باشا وبجواره الفريق عثمان باشا المهدى .

٢ – اللواء محمد نجيب .

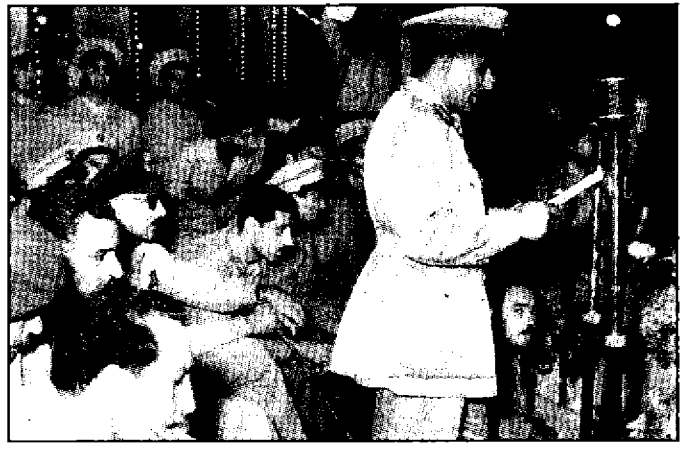

٣ – الضباط الأحرار من خلف نجيب فى أول الثورة.. فى الصف الأول يظهر كمال الدين حسين وعامر وجمال سالم يتكئ على عصاه وبجواره ناصر والشافعى وفى طرف الصورة من الأمام البغدادى ينفث سيجارته .

٤ – عبد الناصر ومحمد نجيب وحوار ما قبل الاختلاف .

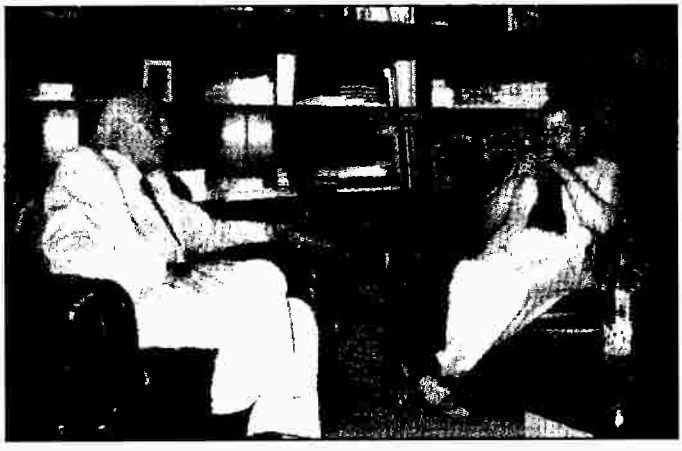

٥ – مرتضى المراغى وصلاح منتصر فى مجلة أكتوبر.